شرح

القواعد المثلى

في صفات الله وأسمائه الحسنى

محمد بن صالح العثيمين

– رحمه الله تعالىٰ –

لفضيلة الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

حفظه الله تعالىٰ

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

[الشريط السادس]

أعد هذه المادة

سالم بن محمد الجزائري

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصّلاة والسّلام علىٰ إمام المرسلين نبينا محمد، وعلىٰ آلــه وأصــحابه أجمعين، أما بعد:

بدأنا بالأمس بالقواعد المتعلِّقة بصفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وشرعنا في القاعدة الأولىٰ؛ في بيان أنّ صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كلّها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

وقد ذكر الشيخ رحمه الله الدَّليل السمعي والعقلي ودلالة الفطرة علىٰ هــٰذه القاعدة العظيمــة والأصل المتين.

ثم تبعا لهــٰذه القاعدة أخذ الشّيخ رحمه الله يُبيّن تنزّه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن صفات النّقص، وأيضا ما يتعلّق بالصّفات المحتملة للنّقص والكمال.

[المتن]

وإذا كانت الصفة نقصا لا كمال فيها فهي ممتنعة في حــق الله تعــالىٰ كــالموت، والجهــل، والنسيان، والعجز، والعمىٰ، والصَّمم ونحوها، لقوله تعــالىٰ: ﴿وَتَوَكَّــلْ عَلَــىٰ الْحَــيِّ الَّــذِي لا يَمُوتُ﴾[الفرقان:٥٨]، وقوله عن موسىٰ: ﴿فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَىٰ (٥٢)﴾[طه:٥٢]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ من شَيْءٍ فِي السَّمَٰوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾[فاطر:٤٤]، وقوله: ﴿أَمْ يَحْسَــبُونَ أَنَّــا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (٨٠)﴾[الزخرف:٨٠]. وقال النبي صَــلَّى اللهُ عَلَيْــهِ وَسَلَّمَ في الدجّال: ((إنه أعور وإنّ ربكم ليس بأعور)).[1]

وقال: ((أيها الناس اِربعُوا علىٰ أنفسكم فإنَّكم لا تدعون أصمّ ولا غائبا)).[2]

وقد عاقب الله تَعَالَىٰ الواصفين له بالنقص كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[المائدة:٦٤]، وقوله: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللّــهُ قَــوْلَ

---

(١) **البخاري**: كتاب الفتن ، باب ذكر الدجال، حديث رقم (٧١٣١).

مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، حديث رقم (٢٩٣٣).

(٢) **البخاري**: كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، حديث رقم (٤٢٠٥).

مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، حديث رقم (٢٧٠٤).

الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ (١٨١)﴾[آل عمران:٨١].

ونزّه نفسه عمّا يصفونه به من النقائص فقال سبحانه: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلامٌ عَلَىٰ الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٢)﴾[الصافات:١٨٠-١٨٢]، وقال تعالىٰ: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١)﴾[المؤمنون:٩١].

[الشرح]

هٰذا بيان من الشّيخ رحمه الله لما يتعلّق بتنزّه الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ عن صفات النقص، وأنّ صفاته جل وعلا ليس فيها شيء من صفات النّقص؛ بل هو عزّ وجل متنزه عن النقائص والعيوب، فهو عز وجل السّبوح القدوس، المنزّه عن النّقائص والعيوب، وعن ما لا يليق بجلاله وكماله وعظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالنّقص في الصّفات في حقه جل وعلا ممتنع، وليس في الصّفات المضافة إليه ما هو صفة نقص؛ بل هو جل وعلا متنزّه عن النّقائص، وهو جلّ وعلا الكامل في ذاته، وصفاتُه تبع لذاته، فكلها كاملة لكمال الموصوف جل وعلا، فالنّقص في حقِّه ممتنع وهو جل وعلا متنزّه عن كل نقص وعيب.

قال رحمه الله: (**وإذا كانت الصفة نقصًا لا كمال فيها فهي ممتنعة في حق الله تعالىٰ**)، قوله: (**نقصا لا كمال فيها**) هٰذا فيه أنّ الصفات علىٰ أقسام:

قسم كمالٌ لا نقص فيه، وهٰذا عرفنا أنّ صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ شأنها كذلك؛ صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، وعرفنا أنّ من قواعد الصفات أن صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

والقسم الثاني -هٰذا- صفات نقص لا كمال فيها، وهٰذه ممتنعة في حق الله، ولا يضاف إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ شيء منها.

وقد أورد المصنف رحمه الله جملة من الآيات في بيان وعيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وتهديده لمن أضاف إليه شيئا من صفات النّقص، كما حصل من اليهود الذين وصفوه باللّغوب وهو التعب، ووصفوه بالعجز، ووصفوا يده -تعالىٰ وتنزّه- بأنها مغلولة، إلىٰ غير ذلك.

فالله جل وعلا توعّد من وصفه بصفات نقص بأشدّ الوعيد.

والقسم الثالث الصّفات المحتملة، تحتمل نقصا وكمالا؛ أي تحتمل كمالا من وجه ونقصا من وجه آخر، وسيأتي كلام المصنِّف رحمه الله على هٰذا النّوع من الصفات.

(**وإذا كانت الصفة نقصًا لا كمال فيها فهي ممتنعة في حق الله تعالىٰ**) ذكر أمثلة على ذلك، قال: (**كالموت، والجهل، والنّسيان، والعجز، والعمىٰ، والصَّمم ونحوها**) أي أنّ هٰذه أمثلة، وكل ما كان من هٰذا القبيل -أي صفة نقص لا كمال فيها- فهو في حق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ممتنع ولا يجوز إضافته إليه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بأيِّ حال من الأحوال.

وذكر الأدلة على تنزيه الله جلّ وعلا عن هٰذه الصفات التي هي صفات نقص، قال: (**لقوله تعالىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾[الفرقان:٥٨]**) وهٰذا فيه تنزيهه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن الموت، والموت صفة نقصٍ ودليل ضعفٍ وعجز وقُصُور، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ منزه عن ذلك، قال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾.

(**وقوله عن موسىٰ** -عليه السلام-: ﴿**فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَىٰ (٥٢)**﴾**[طه:٥٢]**) وهٰذا فيه نفي الجهل والنسيان عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأنّ علمه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ محيط وشامل ولا يعتريه ضلال أو نسيان أو ذهول أو نحو ذلك مما يعتري علم البشر الناقص الضعيف، ﴿**لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَىٰ**﴾ نفىٰ عن نفسه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ النّسيان.

والنسيان هنا الذي نزه الرّب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نفسه عنه هو الذّهول عن الشيء لضعف العلم وقصوره، فيذهل، كما يحصل للناس في نسيانهم لكثير من الأمور وكثير من الأشياء لقصورهم وقصور عقولهم ومداركهم وأفهامهم، فالله جلّ وعلا منزّه عن ذلك كما في هٰذه الآية ونظائرها ﴿**لاَ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنْسَىٰ**﴾، ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤)**﴾[مريم:٦٤]، فالله جلّ وعلا منزه عن ذلك.

وللنسيان معنىٰ آخر وهو التّرك؛ ترك الشيء عن عمد وقصد على وجه العقوبة بالمقابلة، وهٰذا أضافه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إلىٰ نفسه في آيات ﴿**فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هٰذا إِنَّا نَسِينَاكُمْ**﴾[السجدة:١٤]، ﴿**نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ**﴾[التوبة:٦٧]، فأضافه إلىٰ نفسه، وهو بمعنىٰ التّرك عن عمدٍ وقصدٍ لا عن نسيان وذهول وقصور في العلم، وإنّما عن قصد وعمد مجازاة بالمثل، أو على وجه المقابلة؛ ﴿**نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ**﴾، ﴿**فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ**﴾، أي بسبب نسيانكم، ﴿**إِنَّا نَسِينَاكُمْ**﴾ فهٰذا ترك عن قصدٍ وعمدٍ وهو في هٰذا المقام مقام كمال ومدْح.

ويدخل في النّوع الثالث –الذي سيأتي معنا– لأن أنواع الصفات التي من حيث هي ثلاثة:

- كمال لا نقْص فيه.
- نقص لا كمال فيه.
- صفات محتملة؛ أي أنها في من وجه تكون كمالا ومن وجه تكون ليست بكمال، فيضاف إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ منها الكمال.

فالنسيان في مثل قوله: ﴿نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[التوبة:٦٧]، هٰذا إذا كان علىٰ وجه المجازاة للمستحق، فهٰذا كمال، ولو كان مع كل أحد من يستحق ومن لا يستحق لا يكون كمالا، ولا يضاف إلىٰ الله عز وجل الذي بمعنىٰ الترك، لا يضاف إلىٰ الله مطلقا أي علىٰ وجه الإطلاق، وإنما يضاف مقيَّدا كما جاء بمن يستحقه كالمكر والكيد والاستهزاء وغيرها مما سيأتي معنا.

قال: (**وقوله:** ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَٰوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾[فاطر:٤٤]) نفىٰ عن نفسه عزّ وجل العجز، والعجز صفة نقصٍ، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ متّصف بالكمال، وختم الآية باسمين من أسمائه الحسنىٰ وهما العلم والقدرة (العليم) (القدير).

والعليم دالّ علىٰ كمال العلم.

والقدير دالّ علىٰ كمال القدرة.

فمن كان كاملا في علمه كاملا في قدرته لا يكون في صفاته أو من صفاته العجز؛ لأن العجز يكون عن قصور العلم وضعف القدرة، والله جل وعلا مترّه عن ذلك، وهٰذا وجه المناسبة بهٰذين الاسمين ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَٰوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾[فاطر:٤٤]، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ﴾ أي لكمال علمه وكمال قدرته، لعلمه الكامل وقدرته الكاملة لا يعجزه شيء.

والعجز إنما يعتري من في علمه قصور وفي قدرته ضعف، أما الله جل وعلا فهو كامل في علمه كامل في قدرته فلا يعجزه سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ شيء. وسيأتي معنا قاعدة من القواعد المهمة في الصفات[1] أن ما ينفىٰ عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من النقائص ليس النفي فيه صِرْفا –أي محضا– وإنما هو نفي متضمن

([1]) وهي القاعدة الثالثة من قواعد الصفات.

لثبوت كما ضد المنفي، فهنا نفىٰ عن نفسه العجز نفىٰ عن نفسه العجز، ونفيُ العجز عنه عزّ وجل دليل كمال علمه وكمال قدرته، فالنّفي هنا ليس صرفا وإنما دالّ علىٰ ثبوت كمال الضد، ونفي العجز هنا دليل علىٰ كمال العلم وكمال القدرة.

قال: (**وقوله:** ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لاَ نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾) الشاهد من الآية قوله: ﴿لاَ نَسْمَعُ﴾ وهٰذا فيه تقرير كمال سمعه جلّ وعلا، وأن من ظنّ في الله جل وعلا أنه لا يسمع سر الإنسان ونجواه فقد ظن بربه ظن السَّوء، والله عزّ وجلّ متنزه عن ذلك؛ بل إنّ سمعه وسع الأصوات كلها، ولو قام الخلق من أولهم إلىٰ آخرهم علىٰ صعيد واحد وسألوه جل وعلا كل يسأل حاجته وكل يتكلم بلغته وتكلّموا في لحظة واحدة وفي آن واحد لسمع جلّ وعز أصواتهم كلّها مع اختلاف اللغات، وتباين الحاجات، واختلاف المطالب، وتفاوت الأصوات، فيسمعهم أجمعين دون أن يختلط عليه صوت بصوت، أو حاجة بحاجة، أو لغة بلغة، ودلائل ذلك كثيرة:

منها ما ثبت في الصحيح صحيح مسلم من حديث أبي ذر الطويل وفيه يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ((**يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم قاموا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيت كل واحد منكم مسألته، ما نقص ذلك من مُلكي شيئا، إلا كما ينقص المخيط إذا غمس في البحر**))[1] فالله جل وعلا سمعه وسع الأصوات ومن ظن فيه عز وجل أنه لا يسمع السر أو النجوىٰ فقد ظن فيه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ظن السّوء وهو منزه عن هٰذا الظن ومنزّه عن هٰذا القول، ولهٰذا أنكر ذلك علىٰ من ظنه برب العالمين قال: ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لاَ نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ﴾ أي نسمع السر والنجوىٰ ولا تخفىٰ عليه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خافية، ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ إضافة إلى أنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يسمع سِرَّهم ونجواهم، فإن ذلك أيضا كله مكتوب ﴿وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ أي يكتبون ما يقولونه ويتلفظون به ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨)﴾[ق:١٨].

قال:(**وقال النبي ﷺ في الدجّال:** ((**إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور**))، ((**إنه أعور**)) أي الدجال ((**وإن ربكم ليس بأعور**)) الشاهد من الحديث قوله: ((**وإن ربكم ليس بأعور**)) نفىٰ عن الرب العظيم والخالق الجليل جل وعز العور؛ ((**إن ربكم ليس بأعور**)) والشيخ رحمه الله أورد هٰذا الحديث دليلا لنفي العمىٰ؛ لأن الصفات المنفية التي عددها وأخذ يذكر أدلتها منها صفة العمىٰ، فإذا

([1]) **مسلم**: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث رقم (**٢٥٧٧**).

كان منزه عن العوَر جل وعلا فهو منزه عن العمىٰ، والعور والعمىٰ كلاهما نقص، والله عز وجل صفاته كلُّها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

فهنا نزه النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه عن العور قال: ((**إنه أعور** -أي الدجال- **وإنّ ربَّكم ليس بأعور**)).

والحديث فيه فائدة عظيمة جدا فيما يتعلق بدلالة صفات الكمال علىٰ الخضوع والذل للمتصف بها، ودلالة صفات النقص والعجز والضعف علىٰ أن من اتصف بها ليس مستحقا للذل والخضوع والعبادة، وإلىٰ هـٰذا أرشد النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لأن الأعور الدجال عندما يخرج في آخر الزمان يدّعي أنه الرّب ومعه ما يفتن الناس في دينهم؛ معه جنة ونار، ومعه أهوال وأمور فاتنة للناس، وفتنته فتنة عظيمة ينجرف وراءه خلق، ويفتتن به عدد عظيم من الناس، مع أنّه يحمل دلائل عدم استحقاقه للعبادة، وعدم استحقاقه لأنْ يُذل له ويخضع، يحمل هـٰذا في وجهه وفي مرآه؛ لأن إحدىٰ عينية طافية أعور، يراه الناس طافي إحدىٰ العينين، وهـٰذا نقص، ومن هو عاجز عن رفع النّقص عن نفسه كيف يكون مستحقا لأن يُخضع له وأن يُقبل عليه بالعبادة والطاعة.

ولهـٰذا من طرائق القرآن الكريم في إبطال الشِّرك -وهـٰذا يوجد في آيات كثيرة جدا وربما في مناسبة سبقت ألمحنا إلىٰ بعضها- من طرائق القرآن في إبطال الشرك بيان عيب الأصنام ونقْصها وضعفها وعجزها، وأنها لا تملك لنفسها شيئا فضلا عن أن تملك شيئا من ذلك لمن يدعوها ويستنجد بها ويستغيث، وما هنا من هـٰذا الباب فإنّه أعور، والعور نقص، والناقص ليس بإلـٰه ولا يستحق من الألوهية شيئا، وإنما الذي يستحق الألوهية المتصف بصفات الكمال ونعوت الجلال التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

وقوله: ((**وإن ربكم ليس بأعور**)) هـٰذا فيه دليل علىٰ ثبوت العينين لله جل وعلا علىٰ وجه يليق بجلاله وكماله سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ، وأن الله عز وجل له عينان، وعيناه عزّ وجل كاملتان لا نقص فيما بوجه من الوجوه.

ووجه دلالة الحديث علىٰ ثبوت العينين صفة لله عز وجل أنّ العور في لغة العرب المراد به وجود عينين إحداهما طافية، فمن كان هـٰذا شأنه يقال عنه: أعور، ونفيه (العور) دليل ثبوت عينين لا شيء فيهما.

وهنا قال: ((إنّ ربكم ليس أعور))، وهـٰذا دليل واضح علىٰ مقتضىٰ دلالة لغة العرب، دليل واضح علىٰ ثبوت العينين صفة لله عز وجل تليقان بجلاله وكماله وعظمته سبحانه.

والعينان المضافتان إلىٰ الله مختصتان به تليقان بجلاله وكماله وعظمته كما هو الشأن في سائر صفات الرب جل وعلا، ولهـٰذا لا يجوز لأحد أن يخطر بباله أو يدور في خياله وهو يثبت العينين لله عز وجل ما يشاهده في المخلوق، فالله أجل وليس كمثله شيء كما قال الله تَعَالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ (١١)﴾[الشورى:١١]، قال: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ وفي آية أخرىٰ قال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢)﴾[الإنسان:٠٢]، ولكن السمع كالسمع ولا البصر كالبصر، وهكذا ليست العين كالعين وقل مثل ذلك في كل الصفات.

وقال: (وقال) قول النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ((أيها الناس اربعوا علىٰ أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمّ ولا غائبا)).) قوله: ((اربعوا)) أي هوّنوا؛ لأنّهم كانوا يرفعون أصواتهم بالدّعاء والذكر، فطلب منهم النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ التخفيف وأن يهوّنوا علىٰ أنفسهم في ذلك، وأن يكون الدّعاء بالمخافتة لا برفع الصّوت، يكون بالمخافتة لا برفع الصّوت؛ لأنّ الله عز وجل يسمع السر والنجوىٰ، ولهـٰذا لما من قال من الصحابة: أربُّنا بعيد فنناديه أو قريب فنناجيه؟ قال: ((إنه قريب)) أو كما قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: ((أقرب من أحدكم من شراك رحله)).

فالمهم أنه أثبت القرب لله عز وجل، وأنه لا حاجة إلىٰ رفع الصوت في الدعاء، ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[الأعراف:٥٥]، فالدعاء يكون خُفية لا برفع الصوت فيه.

قال: ((أيها الناس اربعوا)) أي هوِّنوا وخففوا علىٰ أنفسكم فلا حاجة إلىٰ رفع الأصوات، ((فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا))، وهـٰذا الشاهد من الحديث نفي الصمم عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ((فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا)) أي إنما تدعون سميعا بصيرا قريبا.

ثم ذكر الشيخ رحمه الله ذم الله عز وجل لمن وصفوه بالنقص أو عدّوا في صفاته صفات النقص، فذمهم تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ وهدّدهم وتوعدهم وذكر ما أعده لهؤلاء من العقاب الأليم قال: (وقد عاقب الله تعالىٰ الواصفين له بالنقص كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانْ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾) فهنا اليهود وصفوا يد الله عز وجل بهـٰذه الصفة وهي صفة نقص، والله عز وجل متنزه في ذاته وفي صفات عن النقائص، وليس في صفاته صفة نقص،

واليهود وصفوا يد الله بصفة نقص يتنزه الله جل وعلا عنها، وصفوا يده بصفة نقص قالوا: يد الله مغلولة، أثبتوا له يدا؛ ولكنّهم وصفوها بصفة النّقص وهو الغِلّ، والغل بمعنىٰ الشح وعدم الإنفاق والتقتير وعدم البذل وعدم السخاء، فوصفوا يد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بهٰذه الصفة التي هي صفة نقص، و((يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار))[1] كما أخبر بذلك الرسول الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ.

والله جل وعلا رد علىٰ هؤلاء وَصْفَهم ليد الله بالنقص قال: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾، ولهٰذا لا يعرف في الناس كلهم –وهٰذا أمر معلوم ونص عليه الكثير من المؤرخين– لا يعرف في الناس كلهم علىٰ مدىٰ التاريخ وتطاول القرون وتباين الأزمنة لا يعرف أشد بخلا ولا أعظم شحا ولا أعظم تقتيرا من اليهود، في الناس كلهم، فهم أشد الناس بخلا، ويضرب بهم المثل بالبخل والتقتير، وليس تقتيره علىٰ غيره، وإنما حتىٰ علىٰ نفسه وعلىٰ من يعول، فهم أشد الناس تقتيرا، وهٰذا قول الله تعالىٰ: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾، وهٰذه عقوبة من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لهم جزاءً وفاقا، جزاء وصفهم للرب العظيم والمنفق الكريم واسع المنّ جزيل العطاء عظيم الفضل عز وجل وصفوه بأن يده مغلولة، وغِلّ اليد إنما هو صفتهم ونعتهم وسجيتهم، وهٰذا أمر معلوم عنهم.

قال: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ هنا تنبه إلى أمر يتعلق بالصفات وهو أن وصف الله بالنقص وبما لا يليق بجلاله وكماله وعظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ موجب لسخط الله ولعنته، أرأيت أن هؤلاء لما قالوا في شأن يده جل وعز أنها مغلولة لعنهم الله بذلك، قال: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ وهٰذا فيه دليل علىٰ أن وصف الله بالنقص وبما لا يليق بجلاله وكماله وعظمته موجب لسخط الله وغضبه ولعنته سبحانه.

﴿وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾، فأثبت لنفسه اليدين، والله عز وجل له يدان، له تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يدان تليقان بجلاله وكماله وعظمته، وهما مضافتان إليه، وما يضاف إليه من الصفات فإنه يختصّ به ويليق بجلاله وكماله وعظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[المائدة:٦٤]، والآية صريحة في أن الله جل وعلا له يدان ومثلها قوله تعالىٰ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن

([1]) **البخاري**: كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وكان عرشه على الماء﴾، حديث رقم (٤٦٨٤).
مسلم: كتاب الزكاة، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف، حديث رقم (٩٩٣).

تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[ص:٧٥]، فهما يدان اثنتان تليقان بجلال الرب الكريم وعظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال: (وقوله: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلِهُمُ الأَنْبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ﴾) وهٰذا من هٰذا القبيل وصف هؤلاء الرب جل وعلا بالنقص وهو الفقر، والفقر صفة نقص، والله جل وعلا يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥)﴾[فاطر:١٥]، الغنىٰ وصف لازم للرب العظيم، وهو غني من كل وجه، والفقر وصف لازم للمخلوق الضعيف، وهو ملازم له من كل وجه، والله عز وجل غني عن خلقه، وخلقه فقراء إليه لا غنى له عنهم طرفة عين، هو الغني وهم الفقراء.

وهؤلاء الأمة الغضبية الملعونة أمة اليهود قالوا في حق الرب العظيم والخالق الجليل عز وجل: إنه فقير؛ ﴿قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء﴾ فجعلوا صفة النقص للرب وصفة الكمال لهم، فاختاروا لأنفسهم الصفة الكاملة واختاروا للرب الصفة الناقصة صفة النقص ﴿قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء﴾ والله عز وجل تهدهم علىٰ ذلك وأعد لهم عقابه الأليم قال: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ﴾ يعني هٰذا الذي قالوه في حق الرب لا يذهب أدراج الرياح ولا ينتهي أمره بقولهم له، وإنما هو مكتوب وسيرونه يوم القيامة مكتوبا، وسيعاقبهم الله جل وعلا عليه العقاب الأليم، قال: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ﴾.

ثم ذكر أنواعا أخرىٰ من جرائمهم وفضائع أعمالهم قال: ﴿وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ وكذلك من هٰذا القبيل ما ذكره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ (٣٨)﴾[ق:٣٨]، أي من تعب وهٰذا ذكره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ردا علىٰ اليهود الذين قالوا إن الله -تعالىٰ الله عما يقولون وسبحان الله عما يصفون- لما خلق السمٰوات والأرض تعب من خلقهما، وقالوا: -قبحهم الله- إن من شدة تعبه استلقىٰ علىٰ قفاه. تعالىٰ الله عما يقولون وسبحان الله عما يصفون، فرد الله تعالىٰعليهم فقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ أي ما مسنا من تعب.

الشاهد أنّ الله عز وجل منزّه عن صفات النقص، ومن وصفه بها تهدّده الله وتوعده وأعد له عقابه الأليم، وطرده من رحمته ولعنه، وأحل عليه سخطه وعقابه، وهٰذا فيه دلالة علىٰ أن الانحراف في الاعتقاد أشد خطرا وأعظم ضررا علىٰ صاحبه من الخطأ في العبادة، ومن يرىٰ الآيات التي رتّب عليها العقوبات علىٰ مثل هٰذا الانحراف يدرك ذلك.

ثم قال الشيخ رحمه الله: (**ونزّه نفسه عمّا يصفونه به من النقائص، فقال سبحانه:** ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٢)﴾[الصافات:١٨٠-١٨٢]) وهٰذه الآية الكريمة أصل عظيم وأساس متين في باب الأسماء والصفات، قد بدأها سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ بالتنزيه لأن تسبيح الله معناه تنزيه الله، وأسبح الله أي أنزه الله، والتسبيح تنزيه، ومن أسمائه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: السبوح والقدوس والسّلام، وهٰذه الأسماء أسماء تنزيه لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن النّقائص والعيوب، وعمّا لا يليق بجلاله وكماله، وعن أن يماثله أحد من خلقه في شيء من صفاته أو أن يماثل هو أحد من خلقه في شيء من صفاتهم، فكلّ ذلك الله منزّه عنه يسبَّح ويقدَّس ويترَّه عن ذلك.

التسبيح هو التنزيه، والتنزيه هو نفي النّقائص عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، نفي أن يلحق شيئا من صفاته شيء من النقص، فهو منه عن النقائص والعيوب، وأيضا هو منزّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن المماثلة عن مماثلة خلقه له وعن مماثلته هو لخلقه كما قال بعض السلف: لا يشبه أحدا من خلقه ولا يشبهه أحد من خلقه. كما قال الله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ (١١)﴾[الشورى:١١]، كما قال تعالىٰ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (٦٥)﴾[مريم:٦٥]، وعلىٰ هٰذا فالتنزيه نوعان:

تنزيه لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن النقائص والعيوب، مثل تنزيهه عن اللغوب، وعن وصف يده بالغِل، وعن الفقر، وعن أيضا ما ذكره المصنف الموت والجهل والنسيان والعجز والعمىٰ والصمم.. تنزيهه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن النقائص والعيوب. فالله عز وجل يتره عن ذلك ويسبح ويقدس، ولا يضاف إليه شيء منها.

والنوع الآخر **تنزيهه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن التمثيل**؛ عن مماثلته لخلقه أو مماثلة خلقه له كما قال الله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ (١١)﴾[الشورى:١١]، ونظائرها من الآيات.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ، من هم؟ ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أي المخالفون للرسل وأعداء الرسل وأعداء ربّ العالمين الذين يصفون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بما لا يليق به، فكل من يصف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بما لا يليق به فالله منزه عن وصفه، كل من يصف الله بما لا يليق به فالله منزه عن وصفه، وهٰذا يدلّ علىٰ أن الآية قاعدة عظيمة وأصل متين في التنزيه ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أي عن كل ما يصف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ به من هو مخالف للرسل.

وأما الرسل فشأنهم آخر؛ لأن وصفهم لله وحي منه أوحاه إليهم، فهم يصفون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بما يليق به من صفات الجلال ونعوت الجمال والكمال، ولهـٰذا قال: ﴿وَسَلَامٌ عَلَىٰ الْمُرْسَلِينَ﴾ وتأمل جمال السياق وكماله وحسنه لما نزه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نفسه عما يصفه به الواصفون من المخالفين للرسل القائلون علىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بلا علم، لما نزه نفس عن وصف هؤلاء سلم علىٰ المرسلين؛ لسلامة ما قالوه في حق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من النقص والعيب.

فكل ما قاله الأنبياء في حق الله ما شأنه؟ هـٰذه قاعدة مفيدة جدا في باب الصفات، كل ما قاله الأنبياء في حق الله ما شأنه؟ حق وسالم من النقص والعيب.

ولهـٰذا أي صفة تثبت في كتاب الله أو سنة نبيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ماذا عليك تجاهها ؟ أن تتلاقها بالقبول والاطمئنان وعدم التردد وعدم التخوف، لماذا؟ لأن من جاء بها سالم وما يقوله في حق الله جل وعلا سالم لا عيب فيه ولا نقص فيه، ﴿وَسَلَامٌ عَلَىٰ الْمُرْسَلِينَ﴾ وهـٰذا دليل علىٰ أن كل ما قاله الأنبياء في حق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من الصفات كل حق وكله سالم وكله لا نقص فيه.

والواجب مع ما جاء عنهم من الصفات أن يقف العبد علىٰ قدم التسليم من الله الرسالة وعلىٰ الرسول البلاغ وعلينا التسليم دون تردد ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥)﴾[طـه:٥]، ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[المائدة:٦٤]، ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾[الفتح:٦]، كل صفة قرأها في القرآن أو السنة تقبلها وتأخذ بها وتعتقدها صفة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ دون أيّ تردد؛ لأنها قطعا سالمة في حق الله لا نقص فيها، النقص يأتي من جهة المخالفين للرسل مثل ما رأيتم في اليهود وأضرابهم يصفون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالنقائص، والله عز وجل مترہ عما يصفونه به، أما ما يصفه به المرسلون فكله حق ولا يترہ الله عنهم؛ بل يثبت لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

هـٰذا هو التسبيح هـٰذا وهو الذي يجب أن يعتقده الذي يقول: سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله. هـٰذا الذي يجب أن يعتقده، تسبيح الله تنزيه الله عما لا يليق به، وهـٰذا هو التسبيح الذي جاء به كتاب الله وجاءت به سنة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأُمر الناس أن يسبحوا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ به بخلاف مناهج أهل الباطل وطرائق أهل الضلال وبخاصة المتكلِّمين الذين اشتغلوا في باب الأسماء والصفات بعقولهم القاصرة وفهومهم الضّعيفة مُعرضين عن كتاب الله وسنة نبيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن تسبيحهم تعطيل، وتنزيههم جحد ونفي.

وتأملوا هـٰذا تسبيح أهل الكلام لله وتنزيههم لله هو في حقيقة أمره تعطيل وجحد، وإن شئت فانظر إلىٰ طريقة المعتزلة وغير المعتزلة في التسبيح وغيرهم من أهل الكلام، ما نوع تسبيح المعتزلة لله جل وعلا.

حتىٰ إن بعضهم كان يقول في تسبيحه لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: سبحان المنزّه عن الصفات. هكذا يقولون؛ لأن عقيدتهم جحد الصفات وعدم إثباتها وعدم الإيمان بها.

ولهـٰذا قال أهل العلم: أنظر إلىٰ تسبيح المعتزلة كيف أدّاهم إلىٰ التعطيل، نحن أمرنا أن نسبح الله لا يليق به من النقائص وعن مماثلة الخلق أما هم فسبحوا الله عن ماذا؟ عن صفات الكمال يسبحونه عن أن تثبت له اليد، وأن يثبت له السمع، وأن يثبت له البصر، وأن تثبت له سائر الصفات، فهل هـٰذا تسبيح أو جحد؟ هل هـٰذا تنزيه أو نفي؟ وأين هـٰذا من التسبيح، ولهـٰذا كل وصف لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بغير نهج المرسلين وبغير طريقتهم هو باطل، والله منزه عنه، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَىٰ الْمُرْسَلِينَ﴾.

أعيد باختصار وجه تسليم الله علىٰ المرسلين عقب تنزيهه لنفسه عما وصفه به المخالفون للمرسلين، ووجه ذلك كما سبق أن ما وصف به المرسلون ربّهم سالم لا نقص فيه، ولهـٰذا سلم عليهم عقب تنزيهه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لنفسه عما قاله المخالفون للرسل لسلامة ما قالوه -أي المرسلون- في حق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من النقص والعيب.

وذكرت لكم أن هـٰذا فيه فائدة عظيمة تتعلّق بأتباع المرسلين ألا وهي أن يتلقوا كل ما جاء عن المرسلين بغاية الاطمئنان وكمال الارتياح؛ لأنه بشهادة رب العالمين ما جاءوا به سالم لا نقص فيه ﴿وَسَلَامٌ عَلَىٰ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وختم الآية بالحمد فيه الإثبات، فجمعت الآية بين الإثبات والتنزيه، وهما أصلان يقوم عليهما منهج أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، منهجهم يقوم علىٰ الإثبات بلا تمثيل والتنزيه بلا تعطيل. والآية فيها الجمع بين هذين الأصلين الإثبات والتنزيه؛ الإثبات في قوله: ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، والتنزيه في قوله: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

وكثيرا ما يأتي الجمع بينهما، ومن ذلك الذكر الذي جاء الترغيب فيه أن يقال في اليوم مائة مرة: سبحان الله وبحمده. [١] تسبيح وحمد؛ إثبات وتنزيه، تسبيح وحمد أي إثبات وتنزيه، التنزيه التسبيح والإثبات في الحمد؛ لأن الحمد هو الثناء علىٰ الله مع حبه لكمال أسمائه وصفاته ولعظم مننه سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ وعطياته.

(وقال تعالىٰ: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١)﴾[المؤمنون:٩١].) هٰذا ذكره تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الرد علىٰ من نسب إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الولد، فقال في هٰؤلاء: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ تعالىٰ الله عز وجل عن ذلك وتنزه، ومن جعلوا لله الولد جعلوه شريكا للإله؛ فجعلوا ابن الإله بزعمهم شريكا له، ولهٰذا توحيد النصارىٰ تثليث ليس بتوحيد وإنما هو تثليث الأب والابن وروح القدس، وهٰذا تشريك وليس توحيدا.

وهنا قال: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ رد عليهم ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ الإله المعبود واستحقاقه للألوهية اتفرده بالخلق وأنه لا شريك له في التصرف والتدبير، ولو كان معه -تنزه وتقدس- من إلٰه لكانت النتيجة كما قال الله: ﴿لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ لكن الله عز وجل هو الله الذي لا إلٰه إلا هو ولا رب سواه ولا خالق إلا إياه تفرد بالخلق والتدبير والتصرف، فلا يشرك معه أحد في العبادة.

وختم الآية بقوله: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ وهٰذا فيه تنزيهه سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ عما يصفه به المخالفون للرسل الذين يصفون الله عز وجل بالنقائص والعيوب وما لا يليق به، ومما وصفوه به من النقائص الولد، ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨)﴾[مريم:٨٨]، وهٰذا نقص تنزه الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عنه ويسبح ويقدس من أن يضاف إليه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

الشاهد هنا من هاتين الآيتين ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ وقوله: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ الشاهد منهما أن الله نزه نفسه عما يصفونه به من النقائص.

فإذن ليس في صفاته صفة نقص، وهو سبحانه منزّه عن النقائص ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلامٌ عَلَىٰ الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٢)﴾.

---

(١) **مسلم**: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، حديث رقم (٢٦٩٢).

قال رحمه الله:

[المتن]

وإذا كانت الصفة كمالاً في حال ونقصا في حال لم تكن جائزةً في حق الله ولا ممتنعة علىٰ سبيل الإطلاق، فلا تثبت له إثباتا مطلَقا ولا تُنفىٰ عنه نفيا مطلقا، بل لا بد من التفصيل:

فتجوز في الحال التي تكون كمالاً وتمتنع في الحال التي تكون نقصا، وذلك كالمكر والكيْد والخداع ونحوها، فهٰذه الصفات تكون كمالاً إذا كانت في مقابلة من يعاملون الفاعل بمثلها لأنها حينئذ تدلُّ علىٰ أنّ فاعلها قادر علىٰ مقابلة عدوّه بمثل فعله أو أشد؛ وتكون نقصا في غير هٰذه الحال؛ ولهٰذا لم يذكرها الله تعالىٰ من صفاته علىٰ سبيل الإطلاق، وإنما ذكرها في مقابلة من يعاملونه ورسله بمثلها كقوله تعالىٰ: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣٠)﴾[الأنفال:٣٠]، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦)﴾[الطارق:١٥-١٦]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ (١٨٢) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (١٨٣)﴾[الأعراف:١٨٢-١٨٣]، وقوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾[النساء:١٤٢]، وقوله: ﴿قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ (١٤) اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[البقرة:١٤-١٥].

ولهٰذا لم يذكر الله أنه خان من خانوه فقال تعالىٰ: ﴿إِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ اللّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٧١)﴾[الأنفال:٧١]، فقال: ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ ولم يقل: (فخانهم)، لأن الخيانة: خدعة في مقام الائتمان وهي صفة ذمٍّ مطلَقا.

وبهٰذا عُرف أنّ قول بعض العوام (خان الله من يخون) منكر فاحش يجب النهي عنه.

[الشرح]

ثم ذكر الشيخ رحمة الله عليه النّوع الثالث من الصفات وهو الصفة أو الصفات التي تكون كمالا في حال ونقصا في حال.

وقد عرفنا فيما سبق أقسام الصفات:

- صفات كمال لا نقص فيها فهذه ثابتة لله.
- وصفات لا نقص فيها وهٰذه ممتنعة في حق الله.
- والنوع الثالث التي هي هٰذا هي كمال في حال ونقص في حال.

وما كان من الصفات من هٰذا القبيل لا يثبت لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إثباتا مطلقا ولا ينفىٰ عنه نفيا مطلقا، إذا كان هو في حال كمال وفي حال النقص، فما كان من هٰذا القبيل لا يثبت لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إثباتا مطلقا؛ لأنا:

إذا أثبتناه لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إثباتا مطلقا كان في جملة ذلك ما يتضمنه هٰذا الوصف من نقص والله جل وعلا صفاته لا نقص فيها.

وإذا نفيناه نفيا مطلقا كان في جمل ذلك نفي الكمال الذي يتضمنه هٰذا الوصف.

ولهٰذا لابد فيها من التفصيل، أو لابد فيها من إثباتها لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ وجه الكمال علىٰ ضوء ما جاء في الأدلة والنصوص، فالصفات التي هي كمال من وجه ونقص من وجه لا تثبت لله إثباتا مطلقا، وإنما يثبت منها الجانب الذي هو كمال أما الجانب الذي هو نقص فالله عز وجل يتره عنه قال: (**وإذا كانت الصفة كمالاً في حال ونقصا في حال لم تكن جائزةً في حق الله ولا ممتنعة علىٰ سبيل الإطلاق**)، (**لم تكن جائزةً في حق الله**) أي لا تثبت له إثباتا مطلقا و لم تكن ممتنعة في حق الله؛ أي لا يمنع إثباتها عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ منعا مطلقا، فالإثبات المطلق لا يجوز، والمنع المطلق لا يجوز.

وقد عرفنا سبب ذلك؛ الإثبات المطلق يكون في ضمنه إثبات النقص، والمنع المطلق يكون في ضمنه منع الكمال، وهٰذا لا يجوز وذاك لا يجوز.

هٰذا معنىٰ قوله رحمه الله: (**لم تكن جائزةً في حق الله ولا ممتنعة علىٰ سبيل الإطلاق**) لا النفي جائز علىٰ سبيل الإطلاق، ولا كذلك المنع جائز علىٰ سبيل الإطلاق، وسيتضح ذلك أكثر بالأمثلة التي يوردها الشيخ.

قال (**فلا تثبت له إثباتا مطلَقا ولا تُنفىٰ عنه نفيا مطلقا، بل لا بد من التفصيل: فتجوز في الحال التي تكون كمالاً وتمتنع في الحال التي تكون نقصا**) وبدون هٰذا التقسيم لا يستقيم الأمر في هٰذا النوع من الصفات؛ لأنها إن نفيت نفيا مطلقا فقد نفي في ضمن ذلك جانب كمال في صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وإن أثبتت إثباتا مطلقا كان فيها إثبات نقص يتتره الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عنه، ومن أمثلة هٰذه الصفات ما ذكره رحمه الله كالمكر والكيد والخداع.

وهٰذه الثلاثة والمكر والكيد والخداع معانيها متقاربة وهي إيصال العقوبة إلىٰ الخصم بطريقة خفية، بحيث إن العقوبة تقع في الخصم من حيث لا يشعر وبطريقة خفية، فهٰذا يقال عنه: مكر،

ويقال عنه: كيد، ويقال عنه: خداع، هـٰذه الصفات الثلاث ونظائرها لا تثبت لله إثباتا مطلقا بمعنىٰ أنه لا يقال هكذا علىٰ وجه الإطلاق: الله ماكر، الله مخادع، الله مستهزئ. هـٰذا لا يجوز أن تثبت لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إثباتا مطلقا بأن يقال: الله ماكر، أو الله مستهزئ، أو الله مخادع، هـٰذا لا يجوز إثباتها لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ وجه الإطلاق، لم؟ لأن في هـٰذه الصفات ما هو كمال وفيها ما هو نقص، فإذا أثبتت لله إثباتا مطلقا تضمن ذلك إثبات النقص والله عز وجل مترّه عن ذلك، ولهـٰذا لا تثبت لله إثباتا مطلقا، أيضا في الوقت نفسه لا تنفىٰ عنه مطلقا فلا يقال هكذا علىٰ وجه الإطلاق ليس من صفات الله المكر وليس من صفاته المخادعة وليس من صفاته الكيد، هـٰذا النفي المطلق أيضا لا يجوز، لماذا؟ لأن هـٰذا النفي المطلق يتضمّن نفي كمال في هـٰذه الصفات الله جل وعلا متصف به.

وإذن لابد من التفصيل كما قال الشيخ: (**لا بد من التفصيل**) وبالتفصيل يحق الحق ويبطل الباطل وتستبين السبيل، كثيرا ما كان يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: بالتفصيل يستبين السبيل.

الأمور التي لابد فيها من تفصيل يفصل القول فيها، ولا ينقل الكلام فيها علىٰ عواهله وإنما يفصل، فإذا كانت ألفاظا تحتمل حقا وباطلا فالحق يثبت والباطل ينفىٰ، أما أن نثبت إثباتا مطلقا أو ننفي نفيا مطلقا، فهـٰذا فيه من الخطأ والغلط ما فيه.

قال: (**كالمكر والكيْد والخداع ونحوها**) وهـٰذه الصفات تأمل التفصيل الآتي قال: (**فهٰذه الصفات تكون كمالاً إذا كانت في مقابلة من يعاملون الفاعل بمثلها لأنها حينئذ تدلُّ علىٰ أنّ فاعلها قادر علىٰ مقابلة عدوّه بمثل فعله أو أشد؛ وتكون نقصا في غير هٰذه الحال؛ ولهٰذا لم يذكرها الله تعالىٰ من صفاته علىٰ سبيل الإطلاق، وإنما ذكرها في مقابلة من يعاملونه ورسله بمثلها**) هٰذا التفصيل هو الذي تستبين به السبيل هنا، ويحق به الحق ويبطل به الباطل، فهي لا تُثبت الإثبات المطلق ولا تنفىٰ النفي المطلق، وإنما تثبت لله علىٰ منها الكمال والنقص الذي تدل عليه الله مترّه عنه.

ولاحظ هنا المكر والكيد والاستهزاء والمخادعة ونظائرها هـٰذه الصفات إذا كانت في حق من يستحق مخادعة المخادع والمكر بالماكر والكيد للكائد والاستهزاء بالمستهزئ.. ونحو ذلك، ما نوع الصفة إذا كانت علىٰ هٰذا الوجه ما نوعها؟ إذا كانت في حق من هو مستحق مستهزئ ماكر مخادع ما نوعها؟ كمال؛ إذا كانت في حق من يستحق فهي كمال.

أما إذا كانت في حق كل أحد، أو في حق من لا يستحق، فما نوعها؟ لو كان مكر بكل أحد، وكيد لكل أحد، وسخرية من كل أحد، واستهزاء بكل أحد، هـٰذا نقص ليس بكمال، ولهـٰذا لا تثبت إثباتا مطلقا؛ لأنه إذا أثبتت إثباتا مطلقا كانت علىٰ هـٰذا الوجه الذي هو نقص، ولا تنفىٰ نفيا مطلقا لأن في النفي المطلق نفي هـٰذا الكمال الذي هو مجيئها علىٰ وجه المقابلة، ولهـٰذا لم تأت هـٰذه الصفات في القرآن الكريم مطلقة وإنما جاءت مقيدة.

والقاعدة عند السلف رحمهم الله في الصفات إمرارها كما جاءت كما قالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف. فما جاء منها مطلقا أثبت مطلقا كما جاء، وما جاء منها مقيدا أثبت مقيدا كما جاء، فلا يثبت من النص المقيد الذي جاء بوصف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بوصف مقيد لا يثبت منه الوصف المطلق؛ لأن هـٰذا لا يكون فيه إمرار للنص كما جاء.

ونأخذ علىٰ ذلك أمثلة مما ذكره رحمه الله: (**كقوله تعالىٰ:** ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣٠)﴾[الأنفال:٣٠]) المكر الذي أثبته الله لنفسه مطلق في الآية أو مقيد؟ مقيد ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ﴾، يمكر الله ليس بكل أحد وإنما بهؤلاء الماكرين، فهو جاء مقيدا وهكذا في الآية الأخرىٰ ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦)﴾ مقيد، كذلك في قوله: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ أي هٰؤلاء الذين يكذبون بآيات الله؛ ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ (١٨٢)﴾، وكذلك قوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾، الخداع مطلق أو مقيد؟ مقيد، كذلك قوله: ﴿قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ (١٤) اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ مقيد، المكر والكيد والسخرية والاستهزاء ونظائرها كلها جاءت مقيدة، والقاعدة أن تمر كما جاءت وهي جاءت علىٰ أي وجه؟ مقيدة.

فإن قال قائل: إنني أثبت لله المكر والكيد والاستهزاء والسخرية علىٰ وجه الإطلاق. فأقول: إن من صفاته الماكر والكائد والمستهزئ والساخر بدليل قوله تعالىٰ ويذكر لنا هـٰذه الآيات نقول له: أبعدت عن الصواب، وأبعدت هدي كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لأن القرآن لم يأت فيه وصف الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بهـٰذا الإطلاق الذي ذكرت، وإنما جاء وصف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في هـٰذه الآيات وصف مقيد وإثبات الصفات لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يكون بالوجه الذي جاءت عليه إن جاءت مطلقة أثبتناها مطلقة وإن جاءت مقيدة أثبتناها مقيدة علىٰ القاعدة (أمروها كما جاءت إن جاءت) إن جاءت مطلقة أثبتناها مقيدة وإن جاءت مقيدة أثبتناها مقيدة لأن نهج أهل السنة في الصفات عدم

مجاوزة الكتاب والسنة، كما قال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله: ونصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا نتجاوز القرآن والحديث.

وهٰذه الحالة التي نتكلم عنها الآن من يثبت من هٰذه الآيات وصفا مطلقا لله ما شأنه هل وقف عند الآيات أو تجاوز ماذا؟ تجاوز لأن الآيات مقيدة وهو وصف مطلق هٰذا تجاوز ليس هو فيه علىٰ ضياء الآيات ولا علىٰ ما دلت عليه.

عرفنا بهٰذا التفصيل الذي ذكر الشيخ رحمه الله النهج في الصفات التي من هٰذا القبيل التي هي نقص من وجه وكمال من وجه والموقف الحق الذي ينبغي أن يصار إليه في مثل هٰذه الصفات.

ثم نبه الشيخ استنادا علىٰ هٰذه القاعدة وبناء علىٰ هٰذا التأصيل، نبه تنبيها مفيدا للغاية علىٰ خطأ شائع عند بعض العوام في بعض الجهات قال: (**ولهٰذا لم يذكر الله أن خان من خانوه**) علىٰ وجه إيش؟ المقابلة لم يذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خان من خانوه؛ أي علىٰ وجه المقابلة لخيانتهم، مثل ما استهزئ بالمستهزئين وسخر بالساخرين ومكر بالماكرين وكاد للكائدين، لم يذكر أنه خان من خانوه، لم يذكر أنه خان من خانوه، لماذا؟ لأن الخيانة نقص مطلق في كل أحوالها نقص ليس فيها كمال، الخيانة نقص بخلاف الكيد والمكر والاستهزاء والسخرية ونظائرها، هٰذه في حال كمال وفي حال النقص.

أما الخيانة نقص مطلقا، والخيانة تلتحق بالقسم الثاني الذي هو صفات نقص لا كمال فيها بوجه من الوجوه، ولهٰذا لم يثبتها تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لنفسه علىٰ وجه المقابلة، لم؟ أجيبوا لِم لم يثبتها لنفسه علىٰ وجه المقابلة؟ لأنها صفة نقص لا كمال فيها.

وانظر الآية التي أخذ منها الشيخ رحمه الله الاستدلال علىٰ ذلك، وهٰذا من حسن استنباطه ودقيق علمه وجميل تنبيهه رحمة الله عليه قال: (**قال تعالىٰ: ﴿إِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ اللّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٧١)﴾[الأنفال:٧١]**) هنا ما قال: فخانهم. مثل ما قال في الكيد والاستهزاء والسخرية والمكر، هناك قال: ﴿يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾، ﴿سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ﴾[التوبة:٧٩]، ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾، ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾[النمل:٥٠]، علىٰ وجه المقابلة هنا ما ذكر ذلك علىٰ وجه المقابلة خانوا الله من قبل فأمكن منهم ولم يقل فخانهم؛ لأن الخيانة نقص مطلقا، أما تلك الصفات فهي ليست نقصا مطلقا الكيد والاستهزاء والمكر ليست نقصا مطلقا؛ بل هي في حال كمال وفي حال

نقص، وقد أثبت لنفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ منها الكمال قال: ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[الأنفال:٧١]، فقال: ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ ولم يقل: (فخانهم)) لم؟ قال: (**لأن الخيانة: خدعة في مقام الائتمان**) خدعة أي خديعة (**وهي صفة ذمٍّ مطلَقا**.) من يخون في مقام الائتمان يكون أعطىٰ الأمان أو أؤتمن ثم يخون.

ولهٰذا جاء في الحديث عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا أتذكر حقيقة نصه لكن من قتل في آخره قال: ((**وإن كان المقتول كافرا**)) لعللني إن شاء الله أحضره لكم غدا من قتل أي من أؤتمن أو كذا أو من أعطىٰ أمانا فقتله فالقاتل في النار ولو كان المقتول كافرا؛ لأن هٰذه خيانة، والخيانة مذمومة مطلقا ليس فيها كمال في كل أحوالها.

قال: (**لأن الخيانة: خدعة في مقام الائتمان وهي صفة ذمٍّ مطلَقا، وبهٰذا عُرف أنّ قول بعض العوام (خان الله من يخون) منكر فاحش يجب النهي عنه.**) يعني هٰذه ترد في لسان بعض العوام في بعض الجهات، إذا خان أحد يقولون: خانه الله أو خان الله من يخون، هٰذا باطل.

ومثل من يقول في حق من يغش: غشك الله أو نحو ذلك، هٰذا كله باطل، وهو مما يذم من الصفات مطلقا، لا يضاف إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ ولو علىٰ وجه المقابلة.

هٰذا والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

المسابقة الحقيقة أنا الحقيقة حريص عليها جدا؛ لأن فيها فائدة كبيرة للجميع، فأنا أحب أؤكد أني أرغب المشاركة تكون من الجميع، كل علىٰ قدر استطاعته وأنت المستفيد، بعض الإخوة قالوا: إلىٰ يوم الأحد ما يكفي الوقت، لو مددته إلىٰ الثلاثاء، فترون المناسب التمديد أو نخليه الجمعة، أو ننقص أو نبقيه؟

الثلاثاء مناسب، إذن آخر موعد لتسليم البحث يوم الثلاثاء؛ لكن مع التمديد فيه إضافة ألا وهي أن كل اسم من الأسماء عندما تذكره تبين نوعه، هل يدل علىٰ وصف لازم أو متعدي؟ مثلا تقول: الغفور المغفرة يغفر، الرحيم الرحمة يرحم، الحي الحياة، الأول الأولية.

ففي بعض الأسماء يثبت منها ثلاثة الاسم والصفة والحكم، وبعضها يثبت منه شيئان الاسم والصفة، فمع التمديد تكون هٰذه الزيادة، بدون التمديد بدون الزيادة.

إذن يوم الثلاثاء بالزيادة.

غدا الجمعة ما فيه درس. [١]

[١] انتهى الشريط السادس.